شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والانجيل من التبديل

بسم الله الرحمن الرحيم

[82 b] الحمد لله الذي صدف شيطان الجهالة عن قلوب اوليائه ، وصرف بصائرهم الى معرفة حكمه الصادرة على لسان انبيائه الهادين ، والكفر قد استفحل ومرد شيطان اغوايه .

وصلواته على خير خلقه محمد الذي قهر بحججه فحول البيـــان وفرسان بلغائه .

وبعد فقد نطق بالخبر اليقين صريح القرآن مبيناً ان نصوص التوراة والانجيل اشتملت على ذكر سيد المرسلين ، صلوات الله عليه ، [83 a] .

وهذا السبب هو الحامل علماء الاسلام على القول بالتبديل . وقد ابى ذلك الفريقان النصارى واليهود وانتصروا بحجج كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً .

ونحن ذاكروها الآن وذاكروا قصورهم عن البحث عن اسباب التعرّف ، وركونهم الى تمادي اكابرهم الجهلاء على الجهالة ، ونبين امكان التبديل واجماع الفريقين على القول بوقوعه .

والعجب انهم جازمون بوقوعه ومسفّهون رأي من يتفوّه بامكانه . وقد احتجّ الفريقان على عدم امكانه ، بعد اتفاقهم [83 b] على القول بوقوعه . فانظر الى هذه الجهالة . فقالوا : القول بوقوع التبديل مشروط بامكانه ، وامكانه مشروط بتعلق العلم بحصر نسخ التوراة والانجيل المبثوثة فى اقطار الارض مع اتساع خطتّها ، ومشروط ايضاً بانقياد كل فرد من افراد الفريقين : عالمهم وزاهدهم وعابدهم وبرهم وفاجرهم ، واجماعهم على رأي واحد ومقالة واحدة مع تباين الآراء واختلافها .

---

qui concerne le texte de leurs Écritures. Il souligne par exemple, à propos de la Thora: توراة اليهود التى عند ربانيهم وعنانيهم وعيسويهم حيث كانوا في مشارق الارض ومغاربها لا يختلفون فيها على صفة واحدة لو رام ان يزيد فيها لفظة او ينقص اخرى لافتضح عند جميعهم (*Fiṣal*, I, p. 117); et à propos de l'Évangile: وعند النصارى بلا اختلاف بين احد منهم ولا من جميع فرقهم (*Fiṣal*, II, p. 7).

ومثل هذه الطوائف ، مع اشتمالها على العلماء والعقلاء والزهاد والعبّاد ، لا يتفق آراءهم على تغيير [84 a] شرائعهم ، وافساد عباداتهم ، واتعاب ابدانهم وحملهم النفوس ، بعد علمهم بضلالتهم ، على مشاقّ العبادات والمصابرة على اهوالها ، التي هي اصعب من حزّ الرقاب ، مع علمهم بان ذلك لا يجدي عليهم نفعاً فى الآخرة ولا ثواباً يرجون به الفوز يوم العرض على عالم الخفيات .

وكيف يتصور صدور هذه القبايح من قوم نطق كتابكم بانهم ايمة وهادون بامره وصابرون وموقنون ؟ فقال جل من قايل : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ [84 b] وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيَاتِنَا يُوقِنُونَ » ، ثم ان التوراة منها نسخ بايدي اليهود ، ونسخ

بايدي النصارى وعداوة هاتين الطايفتين وتباين آرائهم واغراضهم ، وعدم انقياد كل عدوّ منهم الى رأي عدوّه معلوم بالضرورة ، ومورد هذه الحجة على الخبير بها سقط .

فاقول — والله الموفق — انّ اكثر العمايات فى العلوم انما جاءت من اخذ الحجج مسلّمة من غير امتحان الفكر وتدقيق النظر فى تصحيح مقدّماتها . [85 a]

ونحن نذكر ما فى هذه الحجة المذكورة من الخلل ، ونبين مكان الغفلة .

فنقول : ان التوراة التى بيد اليهود الآن هي التوراة التى كتبها عزر الورّاق ، بعد فتنتهم مع بخت نصّر ، وقتله جموعهم وطوائفهم الا ما شذّ من ابقائه قوماً لا يعبأ بهم ولا بعددهم ، وجعله اموالهم غنيمة لسراياه وعساكره ، واتلافه ما بايديهم من الكتب ، لعدم انقياده لاحكام شريعتهم ، وجزمه بفساد اعمالها

ونصبه فى بيت عبادتهم صنماً ، واعلانه بالنداء [85 b] محذّرًا من التفوّه بذكرها الى ان انقرض والحال كذلك جيل . حتى كان من نفي وظفر بشيء من اوراقها يقصد المغاير[1] ويتحيل فى قراتها خلسة .

وهذه النسخة كتبها عزرًا قبل بعثة المسيح — عايه السلم — بخمسماية وخمس واربعين سنة ، ولم يكن على وجه الارض نصراني . فحينئذ التبديل ممكن ، لعدم تعلق العلم بحصر نسخ التوراة المبثوثة فى اقطار الارض ، كما ذكر ، ولعدم توقفه ايضاً على انقياد كل فرد من افراد الفريقين ، ولعدم كون نسخها فى ايدي اليهود والنصارى ، [86 a] لانها لم تصر الى ايدي النصارى الآ بعد تبديلها .

فاذا الفاعل لذلك واحد : اما عزرا ، وان رفعوا قدره عن ذلك فناسخها من نسخته . فوقوع التبديل منه ممكن ، لحرصه على استمرار رئاسته ، وعدم القول بعصمته المانعة له من الاقدام على فعل الصغاير والكباير .

ونحن الآن نشاهد وننقل ما ورّخ عن الماضين ، ان كثيرًا ممن[2] يعلّق له

(1) هكذا في النص . والصواب المغاور ، ج. مغارة .
(2) ناقص في « ب» .

عرض بامر محبوب ، شاهدناه يبالغ جهده ، ويحمل النفس على تسليطه الفكر على دقائق الحيل وانواعها ، ولا [86 b] ييأس من مراده ، ولا ينثني عنه الاّ بعد ان يحسّ من نفسه العجز . ولو فرض انّ محبوبه ، الذي تعلّق به غرضه ليس بالنفيس . بله الرئاسة ، التي هي سبب لاقامة الفتن فى العالم ، وقتل الولد والقريب ، ومصارمة العشاير ، وايقاع الحروب بينهم ، وتبديل الرحمة بالقسوة والقرابة بالعداوة ، وعلى الجملة فقلب الحقائق من اخص صفاتها وقد قيل : «اخر ما ينزع من رؤوس الصديقين حبّ الرئاسة » . ورياسة بني اسرائيل كان شأنها عظيماً . ومن احاط بتواريخ العالم [87 a] خبرًا ، وتتّبع غرائب قصصها ظفر باجلّ من عزرا حمله حب الرئاسة على ان فعل افعال السفهاء الخالعين ربقة العقل والدين .

واما اجماع الفريقين على القول بوقوع التبديل فسببه[1] ما وقع من التصريح بالكذب فى نسخ التوراة التى بيد اليهود والنصارى . فلذلك ألجئوا الى القول بوقوعه. فهم فى ذلك كما قيل :

« من لم يمت غبطة يمت هرماً » .

وسبب هذا الاختلاف ان النصارى تزعم انّ نصوص التوراة شاهدة بارسال

(1) هذا في النص من اما الى فسببه يقرأ في هامش « ا » .

المسيح — عليه السلم — فى الزمن الذي ارسل فيه ، [87 b] وما بايديهم من نسخ التوراة شاهد لهم بصحة ما زعموه ، ويزعمون ان اليهود بدلوا ما بايديهم من نسخ التوراة ، عنادًا وحذرًا من الاعتراف بارسال المسيح عليه السلم. واليهود يزعمون ان النصارى بدّلوا ما بايديهم من النسخ ، وان المسيح عليه السلم انما يأتي فى آخر الدّو ر السابع ، وما بأيديهم من نسخها موافق لما ادّعوه. فقد اجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل ، وكل طائفة تجعله صفدًا فى عنق الاخرى.

ونحن نذكر [88 a] الآن ، ونكاذب النسختين ، فنقول فى التوراة التى بيد اليهود ان ادم عليه السلم حين اتى عليه ماية وثلثون سنة ولد له شيت، وفى التى بيد النصارى انه لما اتى عليه مايتان وثلثون سنة ولد له شيث. وفى التوراة التى بيد اليهود ان شيثاً حين مضى عليه ست ماية سنة ولد له انوش ، وفى التى بيد النصارى ان شيثاً لما مضى عليه سبع ماية سنة ولد له انوش. وفى التوراة التى بيد اليهود

ان انوش حين مضى عليه تسعون سنة ولد له قينان ، وفى التى بيد [88 b] النصارى ان قينان ولد حين مضى على انوش ماية وتسعون سنة . وفى التوراة التى بيد اليهود ان قينان حين اتى عليه سبعون سنة ولد له ما هللال[1] ، وفى التى بيد النصارى ان قينان حين مضى عليه ماية وسبعون سنة ولد له ما هللال[1] . وفى التوراة التى بيد اليهود انّ ما هللال حين عاش خمساً وستين سنة ولد له ياروذ، وفى التى بيد النصارى ان ياروذ ولد حين اتى على ما هللال ماية وستون . واتفق النسخ التى بايدى الطائفتين [89 a] على عمر ياروذ حين ولد له حنوخ[2]. وفى التوراة التى بيد اليهود انّ حنوخ[3] حين اتى عليه خمس وستون سنة ولد لـه متوشالح ، وفى التى بيد النصارى انّ متوشالح ولد حين اتى على حنوخ ماية وخمس وستون سنة واتفق النسخ على عمر متوشالح حين ولد له لامخ وعلى عمر لامخ حين ولد له نوح عليه السلم ، وعلى عمر نوح حين ولد له سام . فمتوشالح ولد له لامخ حين مضى عليه ماية وسبع وثمانون سنة ، ولامخ ولد له نوح عليه السلم حين مضى من عمره ماية واثنتان وثمانون سنة ، [89 b] واجتمعا فى الحياة خمس ماية وخمساً وتسعين سنة ، ونوح ولد له سام حين مضى من عمره خمس ماية سنة . وكذلك ايضاً وقع الاتفاق على ان ساما حين ولد له ارفحشاد كان عمره ماية سنة . وفى كتب النصارى القديمة المنقولة عن الحواريين مخالفة[3] لجميع

(1) في « ب » مهلائل .
(2) في « ب » : اخنوخ .
(3) هذه الكلمة ناقصة في « ب » .

ذلك . ثم عاش ارفحشاد خمساً وثلثين سنة وولد له شالح ، وعاش بعد ذلك اربع مااية سنة وثلث سنين . وفى التوراة التى بيد اليهود ان شالح حين عاش ثلثين سنة ولد له عابر ، وان مدة حياة شالح [90 a] اربع ماية وثلث وثلثون سنة ، وفى التى بيد النصارى ان عابر ولد حين اتى على شالح ماية وثلثو سنة ، وان مدة حياته اربع ماية وستون سنة . وفى التوراة التى بيد اليهود ان عابر لما بلغ اربعاً وثلثين سنة ولد له فالغ ، وفى التى بيد النصارى ان فالغ ولد له حين مضى من عمره ماية واربع وثلثون سنة . وفى التوراة التى بيد اليهود ان فالغ لما بلغ ثلثين سنة ولد له رعو ، وفى التى بيد النصارى ان فالغ لما بلغ مئة وثلثين سنة ولد له رعو[1] ، وفى التوراة التى بيد [90 b] اليهود ان رعو حين بلغ اثنتين وثلثين سنة ولد له سروغ ، وفى التى بيد النصارى ان رعو حين عاش ماية واثنتين وثلثين سنة ولد له سروغ . وفى التوراة التى بيد اليهود ان سروغ حين بلغ ثلثين سنة ولد له ناحور ، وفى التى بيد النصارى ان سروغ حين بلغ ماية وثلثين سنة ولد له ناحور . وفى التوراة التى بيد اليهود ان ناحور حين عاش تسعاً وعشرين سنة ولد له تارح وفى التوراة التى بيد النصارى ان ناحور حين بلغ تسعاً وسبعين سنة ولد له تارح ، وهو ابو [91 a] ابراهيم — عليه السلام — ولد له ابراهيم حين مضى من عمره سبعون سنة .

هذا لفظ التوراة فانظر الى قبح هذا الاختلاف وغرابته بين هاتين الطائفتين ،

(1) في « ب » : ارعو .

فى امر ليس من قبيل المظنونات التي تختلف باختلاف مآخذ العلماء ، الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون ، بل كل طائفة تزعم ان ما بيدها هو المنزّل على موسى . عليه السلم — وهذا عين التبديل والتغيير .

واما مخالفة التوراة التى بايدى السامرة ، ومباينتها لسائر النسخ التى بايدى من عداهم من الطوائف ، فلو اقتصر عليه لكان فيه [91 b] ثبت لمن يقول بوقوع التبديل .

واما اصحاب الاناجيل ، فالكلام معهم بين ايدينا — وسيعين الله عليهم —

اما غلطهم الفاحش ، وعدم تحفّظهم فيما نقلوه ، فلا مطمع للعقلاء فى تصحيحه والسبب الذى اوقعهم فى الغلط ، فيما نقلوه غفلتهم عما يجب المبادرة اليه ، ازماناً يحصل فى مثلها التبديل والنسيان ، لما طريقه[1] السمع .

(1) في « ب » : يطرقه .

par le Christianisme dans ses débuts. Ibn Ḥazm expose déjà avec plus de détails ces persécutions et explique les conséquences funestes qui, selon lui, en découlèrent pour la transmission des textes évangéliques (*Fiṣal*, II, pp. 4-5).

اما متّى فقد صرح فى انجيله انه الفه بعد ان رفع المسيح — عليه السلم — بتسع سنين . واما يوحنا فقد نصّ ايضاً [1] فى انجيله انه [92 a] جمعه بعد رفع المسيح — عليه السلم — بنيف وثلاثين سنة . وكذلك ايضاً مرقص صرح فى انجيله[2] انه جمعه بعد رفع المسيح عليه السلم باثنتى عشرة سنة . وكذلك لوقا صرح فى انجيله انه الفه بعد ان رفع المسيح عليه السلم باثنتين وعشرين عاماً ، وقيل بعشرين عاماً .

هذا امر مصرّح به فى اناجيلهم ، ومن ثم وقع الغلط الذى لا حيلة فى مدافعته ، بل كل من رام ان يتمحل له خيالا احسّ من نفسه العجز وقصور الباع عن الوصول الى ما يحاوله . وسيكون منا شفاء [92 b] للغليل ، بذكر ما ارتكبوا فيه الغلط ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقوىّ عزيز .

فاقول ان متى ذكر فى انجيله نسب يوسف النجار على نهج ما انا ذاكره . فقال يوسف ابن يعقوب ، بن متّان ، بن اليعازر ، بن اليود ، بن اخين ، بن صادوق ، بن عازور ، بن الياقين ، بن ابيود ، بن زوربابل ، بن شلتاييل ، بن يوخانيا ، بن يوشيا ، بن عاموص ، بن منسا ، بن حزقيا ، بن اخاز ، بن يوثام ، ابن عوزيا ، بن يورام [2] ، بن يوشافاط ، [93 a] بن آصا ، بن ابيّا ، بن راحاب عام ، بن سليمن ، بن داود ، بن ايسّا ، بن عوبيد ، بن باعز ، بن سلمون ، بن نصون ، بن عمينا داب ، بن ارام ، بن حصرون ، بن فاراس [3] ، بن يهودا ، بن يعقوب ، بن اسحق ، بن ابراهيم . ثم قال فكل الاجيال من ابرهيم الى داود : اربعة عشر جيلاً ، ومن داود الى سبي بابل : اربعة عشر

(1) هذه الكلمة ناقصة في « ب » .
(2) في « ا » : يوران .
(3) في « ب » : فارص .

جيلاً ، ومن سبي بابل الى المسيح : اربعة عشر جيلاً . يريد بسبي بابل يوخانيا فانه ولد واخوته فى سبي بابل .

فانظر الى غلطه فى الحساب ، [93 b] قبل مناقشته على الغلط فى النسب ، لانه قال ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلاً ، وهذا مكان الغلط فى الحساب ، لان من سبي بابل الى المسيح لا يزيد على ثلثة عشر جيلاً . هذا امر معلوم بالضرورة لانّ الغالط فى الحساب لا يقدر على المدافعة ، ومدرك غلطه العلم اليقين . وقد سلف صريح لفظه شاهدًا .

وقد اعتذر عنه شراح انجيله ان قالوا انه اسقط[1] من نسب يوسف اباء خطاة لم ير ذكرهم ، بل عدل[2] عنه لمكان خطئتهم . وهذا غير صحيح ، [94 a] وبيان عدم صحته انه انما يتم له ذلك ان لو قال ومن سبي بابل الى يعقوب[3] اربعة عشر جيلاً ، لان من سبي بابل الى يعقوب[3] تسعة وثلثين اباً ، واقل الجمع ثلثه ، لانه قال اسقط من نسبه اباء فيكون العدد اربعة عشر اباً بالنظر الى الملفوظ والمسكوت عنه . والا فصريح لفظه يابى اعتذار شرّاح انجيله لانه قال ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلاً ، وجملة ذلك ثلثة عشر . وحينئذ يلوح غلطه فى الحساب والنسب جميعاً اما الحساب فلانه ان اقتصر على ذكر ما صرّح[4] به فغلط ، [94 b] لانّ المصرح بذكره لا يزيد على ثلثة عشر

---

(1) في « ب » : سقط .
(2) في « ا » و « ب » قد يقرأ : عذل ، والصواب عدل .
(3) من يعقوب الى يعقوب ناقص في « ب » .
(4) في « ب » : ما صر به .

جيلاً . وان نظر الى السكوت عنه ، على حدّ ما ذكر ، كان من سبي بابل الى المسيح ستة عشر اباً .

واما غلطه فى ذكره ابا يوسف ، فليت شعرى كيف اخطر بباله ان يجعل المسيح ويوسف من جملة آباء يوسف ؟ لانه قال : ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلاً ، وهو يريد بالجيل ها هنا الاب . فليلزم ان يكون المسيح — عليه السلام — ويوسف من جملة آباء يوسف ، ليس اباً لنفسه[1] . فانظر الى هذا الكلام الذى ليس من السداد فى شيء ، [95 a] وهذه المباحثة .

وامّا ما[2] الزمناه من الغلط يسير بالنسبة الى ما سنذكره من امره وامر صاحبه لوقا ، وذلك انهما تباينا مباينة ناطقة بخطأ احدهما او خطأهما . والعجب ان كلاً

(1) هكذا في النص ولعل الصواب : ويوسف ليس ابا لنفسه .
(2) ما ناقص في « ا » و « ب » .

celle d'une révélation dictée par Dieu à un messager dont le rôle est seulement d'écouter et de transmettre.

منهما يزعم انه سمع ما وضعه فى انجيله ، وتفوّه[1] به ، بعد ان نزلت عليه روح القدس ، واقتضت[2] له العصمة من الخطأ فى قوله وفعله .

وها انا ذاكر لك الآن ما تقف عليه من الهذيان الذى لا مخرج لمن حاول تصحيحه . وبالله المستعان ، نسب يوسف الذى نص عليه لوقا فى [95 b] انجيله ، يوسف بن مطّاث ، بن عاموص ، بن ناحور ، بن حسلي ، بن ناغي ، بن مواث ، بن ماطّاث ، بن سميان ، بن يوسف ، بن يهوذا ، بن يوخا ، بن يسّا ، بن زوربابل ، بن شلتاييل ، بن نيرى ، بن ملكي ، بن ادّى ، بن الماصان ، بن ايـّل ، بن يوشا ، بن اليعازر ، بن يوثام ، بن مطّاث ، بن لاوى ، بن سمعون ، بن يهودا ، بن يوسف ، بن يونان ، بن الياقين ، بن مليّا ، بن متنان ، بن [96 a] مطتّا ، بن ناتان ، بن داود ، بن عوبيد ، بن باعاز ، بن سلمون ، بن نصون ، بن عميناداب ، بن ارام ، بن بورام ، بن حصرون ، بن فارس[3] ، بن يهوذا ، بن تارح ، بن ناحور[4] ، بن ساروخ[5] ، بن ارغو ، بن فالق[6] ، بن عابر ، بن صالا ، ابن قينان[7] . بن ارفحشدّ ، بن سام ، بن نوح ، بن لمك ، بن ماتوشلح ، بن حنوخ[8] . ابن يارد ، بن مهللائيل[9] ، بن قينان ، بن انوش ، بن شيث ، بن آدم — عليه السلم — . هذا نسب يوسف ساقه لوقا هذا المساق [96 b] .

(1) في « ب » : تقوه .
(2) في « ب » : افيضت .
(3) في « ب » : فارص .
(4) في « ا » : ناحون والصواب من « ب » .
(5) في « ب » : ساروغ .
(6) في « ب » : فالغ .
(7) في « ا » : قينا .
(8) في « ب » : اخنوخ .
(9) في « ا » : مملاييل .

وذكر اباه شخصاً شخصاً منه الى آدم وقد سمعت حديث صاحبه متى وما سلف منه من المباينة ، فان كانا صادقين لزم ان يكون ليوسف ابوان محبلان لامه ، وكذلك الكلام فى كل جد من اجداده . وان كانا كاذبين جاز وقوع التبديل منهما ، اما عمداً او غفلة ، وحينئذ تسقط الثقة بما نقلاه ، معتقدين انه الحق . ثم نقول : كيف يصدر الكذب ممن يعتقد فيهما انهما معصومان بروح القدس حين حلت عليهما ؟ وان كان [97 a] احدهما صادقاً ، والآخر كاذباً ، عادت الحالة حين فرضا كاذبين .

وقد انتصر لهما بعض شرّاح الانجيل قائلاً : ان كل شخص من اباء يوسف كان له اسمان مرادفان ، فذكر كل منهما اسماً غير الذى ذكره صاحبه . وهذا هذيان لا يساوى سماعه ، فالحزم الاعراض عن الجواب عنه ، معولين على فهم من له عقل يعلم به بعد هذا الانتصار عن الصواب. بل ينبغي ان يقضي العجب ممّن يركن الى خطور مثل هذا الهذيان بباله . وهل لهذه الواقعة [97 b] نظير فى العالم ، او ساعده على ذلك اشتمال تاريخ على مثل هذه الواقعة ، او شهادة كتاب من كتب اليهود المشتملة على تواريخ الاقدمين ؟ .

وكم اشتملت الاناجيل على نصوص غير نسب يوسف متباينة ، لا مطمع فى تصحيحها وها انا ذاكرها نصّاً نصّاً ، وموضح تباينها وتعذر الجمع بين معانيها . فاقول — والله الموفق — :

النص الاول ذكره مرقص فى انجيله ، مصرحاً فيه بان المسيح — عليه السلم — قال لبطرس ، ليلة اخذ للصلب ، على ظنهم ، قبل ان يصيح الديك مرتين [98 a] تنكرنى ثلاثاً . ثم اخذ يبين ذلك فقال : « وبينما بطرس فى اسفل الدار ، جأت فتاة من جوارى رئيس الكهنة فرأته يصطلي ، فلما رأته قالت له : وانت ايضاً كنت مع يسوع الناصرى . فأنكر وقال : لست ادرى ولا اعرف ما تقولين ، وخرج الى خارج الدار ، فصاح الديك ، فرأته فتاة اخرى فقالت للقيام : ان هذا منهم . فانكر ايضاً فقال القيــام لبطرس : حقاً انك منهم وانت جليليّ وكلامك يشبه كلامهم . فبدا يلعن ويحلف انه ما يعرف [98 b] هذا الانسان الذى تقولين ، ثم مكانه صاح الديك ثانية . فذكر بطرس قول يسوع : انك قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلث مرات» . هذا اخر كلامه .

صرح بان الانكار من بطرس وقع موافقاً لقول المسيح — عليه السلم — حين قالت له الفتاة : وانت منهم ، انكر مرة ، ثم صاح الديك ، وحين رأته الفتاة الثانية وقالت للقيام : ان هذا منهم، انكر ايضاً مرة ثانية، ثم ان القيام حين قالوا له : حقاً انت منهم ، انكر ثالثة ، ثم صاح [99 a] الديك . فقد ثبت ببيانه انه لم يتكامل له جحد الثلاث ، والديك لم يصح ، بل ما جحده الثانية والثالثة، الا بعد ان صاح الديك مرة .

وفى انجيل لوقا انه قال لبطرس ليلة اخذ : تجحدنى ثلثا قبل ان يصيح الديك . ثم اخذ يبين ذلك فقال : « وكان بطرس يتبعه من بعيد : فلما اضرموا نارًا وكان بطرس جالساً فى وسطهم . فلما رأته جارية جالساً فى الضوء ميزتـــه وقالت : هذا كان منهم . فانكر وقال : يا امرأة ما اعرفه . وبعد [99 b] قليل ابصره آخر فقال : انت منهم . فقال له بطرس : يا انسان ما انا هو . وبعد ساعة كرر عليه القول آخر وقال : حقاً كان هذا معهم لانه جليلي . فقال له بطرس : ما اعرف ما تقول : وبينما هو يتكلم صاح الديك . هذا آخر كلامه .

فاقول — والله الهادى الى الرشاد — ان احد هذين النصين كذب وتقول وافتراء ، لان صاحبه مرقص صرح بان المسيح عليه السلم قال لبطرس : قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلث مرات ، ثم بين انه لم يتكامل له جحده[1] [100 a] الثلث والديك لم يصح ، بل صاح مرتين قبل الثالثة . وصاحب هذا الكلام لوقا صرح بان المسيح — عليه السلم — قال لبطرس : تجحدنى ثلثا قبل ان يصيح الديك ، ثم انه يبين انه تكامل له جحد الثلاث والديك لم يصح .

والواقعة واحدة ، وكذلك زمانها ومكانها ونسبتها . وعلى الجملة فمتى اتحدت نسبة كل خبرين وتباينا ، قطع بكذب احدهما . فانظر الى هذه العدالة فى نقل هذه الاناجيل ، ساخرًا ممن يزعم ان اصحابها معصومون من الخطاء ، او ناقلوها عن المسيح — عليه السلم — [100 b] نقل من سمع ذلك من لفظه ، حافظاً لما

---

(1) في « ب » : جحد .

سمعه ضابطاً لفصوله والفاظه ، وظني ان الزمن طال عليهم حين الفوها ، فاستولى عليهم النسيان والغفلة ، كما سلف مبيناً .

النص الثاني صرح به متى فى انجيله . « ان المسيح — عليه السلم — لما قرب هو وتلاميذه من يروشليم ، وجاء الى بيت فاجى قريباً من جبل الزيتون ، ارسل اثنين من تلامذته ، وقال لهما : اذهبا الى هذه القرية التى تقابلكما تجدا فيها اتاناً مربوطة وجحشاً معها ، فحلاهما واتيانى بها . فان قال لكما احد شيئا فقولا : [101 a] ان السيد يريدهما ، فانه يدعكما من وقته . ففعلا كما امرهما واقبلا بالاتان المربوطة والعفو ، والقوا ثيابهم عليها واجلسوه من فوقها » . هذا آخر كلامه.

وصرح مرقص فى انجيله ، وكذلك لوقا ، « ان المسيح لما قرب هو وتلامذته من يروشليم وبيت فاجى ارسل اثنين من تلامذته ، وقال : اذهبا الى هذه القرية التى تقابلكما فاذا دخلتما فستجدان جحشاً مربوطاً ، لم يركبه احد من الناس قط ، فحلاه واقبلا به . فان قال لكما احد : ما هذا الذى تفعلان ، فقولا : [101 b] ان السيد محتاج اليه . فانطلقا واتياه بالجحش فركبه » . هذا آخر كلام مرقص .

فاقول : ان احد هذين النصين ايضاً قد لاح كذبه ، لان متى صرح فى انجيله بان تلميذيه حين امرهما كان امره لهما مقيداً بالاتيان بحمارة . ثم وصفها

كما سمعت الى قوله : فالقوا ثيابهم عليها واجلسوه من فوقها . وصرح مرقص فى انجيله ان ذينك التلميذين حين امرهما كان امره لهما مقيداً بالاتيان بجحش ، لان الواقعة واحدة ، ثم وصفه الى قوله : واتياه بالجحش فركبه . وفى انجيل [102 a] يوحنا ايضاً : فجاء راكباً حماراً .

فاعجب من هذه الواقعة المتحدة نسبتها كيف تباينت معانيها واختلفت حكايتها . واعجب من ذلك غفلتهم عن هذه النصوص وامثالها ، وركونهم الى ان جميعها جار على السداد ، حتى لو تفوه احد منهم بما يوهم خللاً فى معانيها حكموا بسخافة عقله ، وأبوا الاّ تمادياً على الباطل وركوناً الى تقليد دلت البراهين القطعية على عدم مطابقته للصواب[1] .

النص الثالث ذكره متى فى انجيله وكذلك مرقص مصرحين ان المسيح حين صلب ، على ظنهما ، «صلب معه لصان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله وكان [102 b] المجتازون يحركون رؤوسهم ويقولون : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلثة ايام خاص نفسك ان كنت ابن الله » . ثم قال متى : « وكذلك اللصان الذان صلبا معه كانا يقولان ويعيّرانه » . ولفظ مرقص ايضاً : « واللصان اللذان صلبا معه كانا يعيرانه » . وفى انجيل لوقا ، ان المسيح – عليه السلم – « لما جاء الى المكان المسمى بالجمجمة صلبوه هناك ، ومعه عاملا الشر ، احدهما عن يمينه والآخر عن شماله » – ثم قال : « وكان الرؤساء يستهزئون به ويقولون : انه

(1) النص من وابوا الى للصواب يوجد في هامش « ا » .

خلص آخرين فليخلص نفسه ، [103 a] ان كان هو المسيح بن الله المنتخب. وواحد من عاملي الشر الذين صلبا معه كان يجدّف ويقول : ان كنت المسيح فنج نفسك ونجنا . فاجابه الآخر وانتهره وقال له : اما تخاف من الله اذ كنا جميعاً تحت هذا الحكم ونحن جوزينا كما نستحق وكما صنعنا واما هذا فلم يصنع شيئا [1] . ثم قال ليسوع : اذكرني اذا جئت في ملكوتك . فقال : الحق اقول لك انك اليوم تكون [2] معي في الفردوس . » هذا آخر كلامه .

صرح صاحب هذا الكلام لوقا في انجيله ان اللصين الذين صلبا معه كان [103 b] احدهما موْمناً به عطوفاً عليه ، والآخر سابّا له مستهزئاً به . وسبق تصريح متى ومرقص كليهما ان اللصين كانا كافرين به سابين له كل منهما ساخر منه . والواقعة واحدة والكلام عليهما كالكلام على نظائرها السالفة سواء . ولا شك في تكاذب هذه الوقائع وان قائليها طالت عليهم الازمان ، الى ان يقولوا اشياء ليسوا منها على يقين .

ومن الغريب ان متى ذكر في انجيله ان المسيح حين صلب واسلم الروح « انشق الهيكل من فوق الى اسفل وصار اثنين ، والارض تزلزلت، والصخور [104 a] تشققت والقبور انفتحت ، واجساد صور القديسين الذين انضجعوا قامت وخرجوا من القبور . » هذا لفظه في انجيله ولم يذكر [3] ذلك احد من اصحاب الاناجيل سواه .

(1) « ب » يزيد : رديئاً .
(2) في « ا » : انك معي .
(3) في « ا » : ولم يذكروا .

وهذه القصة المبدعة فى الغرابة ، لو وقعت على حد ما وصفها ، لكانت من الخوارق والغرائب التى تتوفر الدواعي على نقلها ، ويحيط بها علماً كل قاص ودان ، ويلهج بحكايتها والخوض فى حديثها من لم يؤهل نفسه لضبط وقائع المسيح – عليه السلم – وتقييد قصصه .

فكيف ينبذ مثل هذه الغريبة المبدعة فى الغرابة [104 b] ظهرياً من انتصب لتقييد اخباره – عليه السلم – ومحاسن غرائبه . ثم اهمال ثلاثة لمثل هذه الغريبه . وذكرها مشعر بانّ للمسيح عند الله عز وجل الدرجة العليا ، وانه من الا نبياء المعظمين المكرمين ، واستحضار كونه صلب معه لصان يسبانه او يسبه احدهما ، قائلين له : خلص نفسك ، وهو غير قادر ، وذلك مما يغضّ من منصبه وقدره ويوهم انه ليس قادرًا على الاتيان بشيء من الخوارق .

وكذلك ايضاً عدم نسيان كونه البس اكليلاً من شوك وثوباً مصبوغاً والناس بين يديه جثيّا [105 a] على ركبهم يسخرون منه ويهزئون به ، ووقوف امه وخالته يشاهدان صلبه وافراط ولهها[1] ، وهو لا يملك لها ضرّا ولا نفعاً .

كل ذلك دليل على كذب متى او تخلّف اصحابه الثلاثة لانهم اهملوا ذكر هذه الغريبة نسياناً . فهم جديرون بالتخلف لبعد ذلك عادة . وان ادعوا عدم العلم فابعد ، لان مثل هذه الخارقة الغريبة لو وقعت لتعلق بها اهل ذلك الاقليم

(1) في النص : ولهيان .

قاصيهم ودانيهم . بل اقول لا بل علم سائر اهل الاقاليم ، ثم ان واقعة الصلب واقعة واحدة ، فكيف [105 b] يدعى فيها تعلق العلم بهذه المنقرات . ثم انها تدوّن عن اله العالم وموجد الكائنات ، كما يعتقدون فيه ، ويهمل ذكر هذه الخوارق المبدعة فى الغرابة الدالة على مكانته وجلالته .

فان قيل : فلم لا يقال ان علمهم معلق بها ولم يطرأ[1] عليهم نسيان البتة ، وانما اهمل الثلاثة ذكرها استغناء بذكر متى وتقييده اياها . فالجواب بان هذا ايضاً عين التخلف ، لانهم اذا اكّدوا باجماعهم حكاية ما لا فائدة فى ذكره[2] ولا يجدى ذكره نفعاً وانما يحصل بذكره عدم وثوق بالانبياء... [106 a] .

... مكان لفظ ليس مرادفاً له ، وحينئذ يلوح الاختلاق فى المعانى .

وعلى مثل هذه الحال جرى الامر فى هذه النصوص السالفة . فان قيل : انما يلزم المحال من القول بامكان التبديل الصادر عن اتفاق اهل الملة ، على حد ما وصف ، وهو الذى قيل بعدم امكانه ، وهو مدعي الخصوم .

واما التبديل الصادر عن الغفلة والنسيان وعدم الضبط فى المنقولات فلا بُعد فى وقوعه .

فالجواب انه سلف منّا بيان وقوعه ، والحال هذه من احد الطايفتين ، حين ذكرنا [106 b] نصوص التوراة . وذكرنا اجماع الطائفتين على القول بتبديل

(1) في النص : يطر .
(2) في « ب » : ذكرها .

نصوصها ووقوعه مازوم لامكانه لا محالة .

اما دعوى النسيان والغلط فان رجال الاناجيل عندهم منزهون عن ذلك فانهم جازمون بعصمتهم ، وان روح القدس ، لما حلت عليهم ، اوجبت لهم العصمة .

ولعمرى ان الناظر فى الكتابين ، اعنى التوراة والانجيل ، لواجد ما يقضى منه العجب .

وانما اعرضت عن الاكثار من ذلك ، حين ذكرت منها ما تقوم به الحجة على الخصوم ، لان سيد المرسلين [107 a] صلوات الله عليه – حين رأى عمر ينظر فى التوراة ، غضب منه وقال : لو كان موسى حياً لما وسعه الا اتباعي . فلهذا السبب لم اكثر من النظر فيهما .

هذا آخر هذا المختصر المسمى **بشفا الغليل في بيان وقوع التبديل** . فالله يجعله خالصاً لوجهه الكريم ،و يجعل جزاءه الفوز من عذابه الاليم ، والخلود فى جنات نعيمها دائم مقيم .